مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 13 / العـــدد: 03 (2023)، ص 38 - 55

العتبات النصّية والبنية الفنّية في القصّة الموجّهة للأطفال في الجزائر
قصّة (صديق الشدّة) لـ: جمال الطاهري أنموذجا

Text thresholds and technical structure in the children's story in Algeria1
The story of (friend of intensity) for: Jamal Al-Taheri is a model

يوسف عمر*
جامعة العربي التبسي – تبسة (الجزائر)
youcef.amor@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول: 2022/11/11

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى دراسة القصة الموجهة للطفل في الجزائر، من خلال قصة (**صديق الشدة**) لرائد أدب الطفل في الجزائر جمال الطاهري، وزَعْم اختيارنا في ذلك أنها من روائع ما كُتب للأطفال فكرة ولغة وأسلوبا ونضجا فنيا، ولاحتوائها على مضمون قيمي اجتماعي أخلاقي تربوي.

وقع المقال في مقدمة قصيرة وجزأين، عالج الباحث في مقدمته ملامح النقد والدراسة في أدب الطفل في الجزائر، وإحاطة نظرية لمفهوم القصة الطفلية، وتعريفا عاما بالكاتب واهتماماته وإنجازاته الأدبية. وتناولنا في الجزء الأول العتبات النصية، بالشرح والتحليل، وأما الثاني فقد خصصناه للبنية الفنية، بدراسة عناصر القصة الطفلية في القصة أعلاه. ثم أوفينا إلى الخاتمة وفيها تم استعراض بعض النتائج وإبراز الخصائص الفنية التي توصل إليها الباحث في هذا المقال. وتقديم بعض الاقتراحات، ونهايتها المصادر المراجع المساعدة.

الكلمات المفتاحية: القصة؛ الطفل؛ العتبات؛ البنية الفنية؛

Abstract:

This article seeks to examine the story directed at children in Algeria, through the story of the child literature leader in Algeria, Jamal Al-Taheri, and claims that it is a masterpiece of what has written for children an idea, language, style, and artistic development, and that it contains a valuable social, ethical, educational content.

The article was signed in a short introduction and two parts, the researcher, in the first place, dealt with the features of criticism and study in children's literature in Algeria, a theoretical presentation of the concept of the children's story, and a general introduction of the writer, his interests and his literary achievements. In the first part, we dealt with the text thresholds, explained and analyzed, and the second was devoted to the technical structure, examining the elements of the story in the above story. The research is based on the work of

* يوسف عمر.

the research and research and the work of the research and research. And to make some recommendations, and the end of which is the reference.

Keywords: Story; child; thresholds; technical structure;

1. مقدمة:

إن البحث في أدب الأطفال في الجزائر لايزال بكرا في كثير من جوانبه، وحديث الاهتمام في كمّه ونوعه، مما يستدعي الوقوف تجاهه بالدراسة والبحث في مختلف فنونه من شعر وقصة ومسرح، ونفض غبار العشوائية عنه، واستخلاص المعايير الفنية النقدية من الدراسات والخبرات العالمية والعربية وإسقاطها على الإنتاج الأدبي الموجه للأطفال في الجزائر، لوضع أسس توافقية بين الكتابة للطفل كفنّ له أدواته ووسائطه، والواقع الاجتماعي وما يتصل به من أنساب مؤثرة على حياة الطفل، وبين حقول معرفية متعدّدة تفرض اتصالها بهذا الأدب؛ بله ترتبط به ارتباطا وجوبيا كعلوم التربية وعلم النفس.

وبنظرة فاحصة للمشهد الثقافي الطفلي في الجزائر يتجلى لنا أنّ الدراسات الأدبية لأدب الأطفال في الجزائر لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الدارسين إلا بما هو متوفر على قلّته من أطروحات ورسائل جامعية، في حين أن علوما أخرى كان يفترض أن تكون مساعِدة، صارت مسيطرة على المشهد بغثّه وسمينه، وبخاصة الوسائط الإعلامية والتكنولوجية التي أبعدت الأطفال عن الحميمية الاجتماعية، مما جعل أدب الأطفال في الجزائر يتأجج بالمعاناة في شتى فنونه، إما لضعفه وفقده، أو غياب الذوق والتشويق والإبداع فيه، أو لغياب نقده ودراسته وتمحيصه، وغربلة صالحه من فاسده؛ وبخاصة في فن القصة الموجهة للأطفال.

القصة الموجهة للأطفال هي فنّ أساسه التعبير عن تجربة إنسانية، في شكل حكاية بلغة تصويرية مؤثّرة، وإضافة لفظ (الأطفال) لتصبح (قصّة الأطفال) "ليس رخصة لإعفاء مفهومها من شروطها، أو تفريغها من محتواها، فالأدب ينبغي أن يبقى أدبا، والقصّة ينبغي أن تظلّ قصّة، سواء كانا موجّهين للكبار أو الصّغار، بيد أنّ الشرط الإضافي المفهوم من ذكر (الأطفال) هو بمثابة قيد زائد، يلزِمنا بالتّدقيق والمراجعة...لأنّنا نقدّم هذه المادة إلى عناصر(أطفال) غير قادرة على حماية نفسها، ولا تملك وسائل التمييز أو النّقد، بل تتقبّل كل ما يقدّم إليها"[1]

وبناء على ما سبق، يطمح هذا المقال إلى طرح فكرة القصة كفن موجه للأطفال في الجزائر، للوقوف على بعض جوانب ثقافة الطفل وإبراز المعايير الفنية في كتابة القصة الطفلية، في جانبها النظري المفهومي، وفي جانبها التطبيقي بتحليل أنموذج لأحد رواد أدب الطفل في الجزائر، هذا الأنموذج هو قصة (**صديق الشدة**) لمؤلفها **جمال الطاهري**. فمن هو هذا الأخير؟ وماهي اهتماماته؟ وماهي مقومات هذا النص القصصي الطفلي؟ وهل حمل نصه قيم اجتماعية وتربوية؟ و وهل تميز بالنضج الفنّي؟ هذه الأسئلة وأخرى سنحاول معالجة الإجابة عنها في هذا المقال بالاعتماد على تركيبة منهجية بنيوية سلوكية تحليلية.

2. التعريف بالكاتب واهتماماته:

هو الأستاذ عبد الكريم علجي، المعروف أدبيا بـ: جمال الطاهري، أديب وشاعر جزائري، لمع نجمه في مجال أدب الأطفال، وبخاصة في فنّ الشعر، ازداد بتاريخ 14 سبتمبر 1947م، بحي (عين الذهب) من ولاية المدية. التحق سنة

1953 بمدرسة الزبيرية الحرة، وتتلمذ على يد الشيخ الطاهر بركاني والشيخ المهدي بن حجر, والشيخ محمد بن حفري. تحصل على الإعدادية سنة1963، ثم التحق بدار المعلمين ببوزريعة، الجزائر العاصمة، أين أمضى سبع سنوات من الدراسة بعدما نال شهادة البكالوريا سنة 1969، دخل المعهد التكنولوجي للتّربية من دون مسابقة وتخرج مع أوّل دفعة مكوّنة من 19 أستاذا معربا على المستوى الوطني سنة 1971 متحصّلا على شهادة الكفاءة للتّعليم المتوسّط, في اختصاصيْ اللّغة العربية والتّاريخ والجغرافيا[2].

عمل أستاذا للتّعليم المتوسّط للّغة العربية منذ سنة 1971 بإكمالية رقية مصطفى للبنات بالمدية، ثم انتقل سنة 1978 إلى إكمالية الفضيل اسكندر للبنات بنفس الولاية، حتّى وافته المنية. مؤسس أول رابطة للكُتّاب الشّباب العرب باسم (فينيس) سنة 1971. عضو اتّحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1972. عضو اللّجنة المديرة لاتّحاد الكتّاب الجزائريين منذ سنة 1996. صدر اسمه ضمن معجم البابطين للشّعراء العرب المعاصرين الطبعة الأولى 1995[3].

شارك في عشرات الأمسيات الأدبية داخل الوطن وخارجه. بدأ كتابة الشعر في المرحلة الإعدادية. وبعد ثلاث سنوات أقام أول أمسية شعرية بالجزائر، ونشر مئات القصائد والمقالان النقدية في مجلات الوطن العربي، كما نشر قصصا قصيرة في مجلة الجمهورية اللبنانية من 1969 إلى 1971م، نشرت دراسات عنه في المغرب العربي، ولبنان والعراق. قدمت عنه دراسات عديدة في إذاعة الجزائر، تونس، المغرب، مصر، وليبيا، كما نشرت عنه بعض الدراسات في الصحف والمجلات العربية[4].

أصدر المؤلف عددا كبيرا من الدراسات النقدية، والقصص والدواوين الطفلية نذكر منها: ديوان ملحق مجلة آمال للشّعر صدر عن وزارة الإعلام والثّقافة سنة 1970. ديوان نفح الياسمين، مجموعة أناشيد للأطفال، سنة 1980.ديوان الزّهور،ج1، قصائد للفتيان والفتيات، سنة 1991. ديوان الزّهور، ج2، قصائد للفتيان والفتيات، سنة 1991.ديوان الزّهور، ج3، قصائد للفتيان والفتيات، سنة 1992. ديوان الزّهور، ج4، قصائد للفتيان والفتيات، سنة 1992. الدجاجة المخدوعة، مسرحية شعرية للأطفال، سنة 1992. ديوان الزّهور، ج5، قصائد للأطفال، سنة 1993. مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "أحلى الحكايا" صدر منها جزءان سنة 1993، أحدهما (صديق الشدّة) محل التحليل في هذا المقال. له أيضا مجموعة مؤلفات في الرّواية والقصة القصيرة، والأوبريت، والنّقد، إلى جانب دواوين أخرى تنتظر الطّبع[5].

تحصل جمال الطاهري على عدة جوائز ومراتب: المرتبة الثّانية لمجلّة الشّباب 1970.الجائزة الأولى للشّعر لجبهة التّحرير الوطني سنة 1971.الجائزة الثّالثة للمسرح الشّعري 1982[6]. وبعد مسيرة حافلة بالإنتاج الأدبي والنقدي، والعطاء التربوي، أصيب بمرض العجز الكلوي، الذي صاحبه لسنوات، وأفضى به إلى الالتحاق بالرّفيق الأعلى – رحمه الله – في يوم الاثنين 08 نوفمبر1999، عن عمر ناهز 52 سنة.

3. العتبات النصية:

لقد صارت العتبات في إسهامات الوعي النقدي المعاصر مكونا جوهريا من مكونات النص شكلا ودلالة، بالتّعاطي معها كخطاب له تأويلاته المرتبطة بالنص، وقد وصف بعض النقاد العتبات بالنص الموازي وهو عبارة عن "ملحقات وعناصر تحيط بالنص سواء من الداخل أم الخارج. وهي تتحدث مباشرة أو غير مباشرة عن النّص، إذ تفسره وتضيئ

جوانبه الغامضة، وتبعد عنه التباساته وما أشكل على القارئ"[7]، وهذه الملحقات تشكل محتوى مبني على تصميم معين، وتمنح قيمة جمالية للقصة الموجهة للأطفال، وتجذب المتلقي الصغير إليها في نقطة التقاء تجمعه مع المؤلف والنّاقد، مع التركيز على جوهر المعنى في العمل الأدبي الطفلي.

إنّ الحديث عن العتبات (الشكل) في قصة الطفل يقودنا إلى الحديث عن شروط الكتاب الموجه للطفل، والتي أشار إليها الكثير في غير موضع، كحجم الكتاب وتغليفه، وما يصاحب المضمون من رسوم وألوان، ونوع الورق وخط الكتابة، ورفعة الطباعة، وعلامات الترقيم "وأحسنها ما كان زاهي الألوان متوسط الحجم، لأن الأطفال لا يحبون الكتب الكبيرة الضخمة، ولا الخفيفة الصغيرة المختصرة، وتشكل الصور جانبا هاما من جاذبية الكتاب"[8] فضلا عن الحرف الواضح الذي يرسم بخط النسخ الأقرب إلى الجذب والقراءة، على الورق الفاتح الذي لا يعكس الأضواء المضرة. وغيرها من العناصر، وعتبة النص كعتبة الباب، لابد من وطئها قبل الولوج إلى فضاء النص المراد تحليله.

1.3 . العنوان:

للعنوان في أدب الطفل بعامة أهمية كبيرة، حيث يمثل عنصرا أساسيا وبخاصة في القصة بالنسبة للطفل "فهو موضوع مكتمل، يستدعيه للقراءة، أو ينفّره منها، بحسب قدرة العنوان التوصيلية في الإحالة على مضمون القصة أو موضوعها"[9] وهو مفتاح لابد أن يمتلكه الطفل؛ ليستطيع فتح الغلاف لولوج القصة، وعنوان قصتنا هو **(صديق الشدة)** وهو عنوان له دلالات تربوية اجتماعية دينية، ووظائف جمالية تداولية، يحيل على جملة من التساؤلات: من هو الصديق؟ ما المقصود بالشدة؟ وما علاقة الصديق بوقت الشدّة؟ وهي تساؤلات لا يستطيع المتلقي الصغير الإجابة عنها إلا بعد تفاعله مع النص القصصي، فهذا العنوان يحمل شحنة توجيهية للقراءة، ويستقطب القارئ ويغويه في لحظة مفصلية، إما أن يقرأ أو لا يقرأ.

ورد العنوان في هذه القصة الطفلية ببنط عريض باللون الأسود وبخط النسخ المشكول، في تصميم بسيط على اللون الأبيض، وهذان اللونان يتحدان في لعبة الضوء والظل، ويتكاملان في نقلة حادة ذات تضاد لوني صارخ؛ لتشكيل الحياد الصريح بالنسبة للطفل في جدلية التناقض، على اعتبار أن الأبيض والأسود في قربهما بيان لتوضيح الصورة البصرية لقوله تعالى: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)**[10] وهذا يرمي إلى ما يريد القاص جمال الطاهري أن يوصله للطفل من خلال المغزى العام، فالأبيض يرمز به للصداقة، والأسود يرمز به للشدة. فهو خلاصة إخبارية لمضمون القصة.

2.3 . الغلاف:

الغلاف مسؤولية المصمم أو الكاتب نفسه، وعادة ما نجد إشارة إلى ذلك في فقرة التعريف بالكتاب، وهو ما انتفى في هذه القصة، ويبدو أن غلاف قصة **(صديق الشدة)** من تصميم المؤلف نفسه باعتباره أستاذا ويتقن هذا الفن، حيث جعل من الغلاف الأول مرآة تعكس بصريا مضمون القصة، واجتهد فيه ليفوز بثقة المتلقي الصغير، فهو يظهر كلوحة فنية بطول 22سم وعرض 16سم، من ورق أملس براق، عليه بعض البيانات التي يحتاجها أي قارئ للاقتناء أو القراءة. مزج فيه ثلاثة ألوان: الأسود والأبيض كما بيّنا سابقا فضلا عن اللون الأصفر الذي استعمله كخلفية للتصميم للدلالة على

المغامرة في أسلوب التفكير، والكتابة للطفل مغامرة، والأصفر من الألوان المحببة لدى الأطفال برمزيته للتوهج والنور، والشمس، فهو رمز المسرة حين النظر إليه مصداقا لقوله تعالى:(**إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**)[11].

صدّر الغلاف بعنوان سلسلته الطفلية (**أحلى الحكايا**) في الأعلى بالأسود وبنط أقل عرضا من العنوان، ثم عنوان القصة (**صديق الشدّة**) وفي الوسط يتربع رسم بالألوان الزيتية (أسود وأبيض) يمثل قردا صغيرا يفتح دفتي خزانة تقليدية ويبتسم، وكأنّه يريد أن يقفز فاتحا ذراعيه، وهي نقلة رغم خفّتها تنعش روح الطفل بمجرد أن يقع بصره عليها، حيث تتحول من مجرد مطبوعة صغيرة تشبه رسومات الأطفال إلى علامة فنّية (أيقونة) تجيب بتدرج على تساؤلات العنوان السابقة الذكر. وفي الأسفل يقبع اسم الكاتب شامخا، وقد أخّر اسمه وجعله في الأسفل، تواضعا منه بأن ما يقدّمه للطفل أرقى من اسمه؛ فضلا عن وظيفة الملكية الفكرية والأدبية ووظيفة الإشهار لقصته الطفلية.

لم يقنّن الكاتب على الغلاف، قصته للأطفال، ولم يبيّن التّحديد الأجناسي، ولم يشر إلى المرحلة الطفلية التي كَتب لها هذه القصة، ولا حتى بعموم التوجيه المعروف (قصة للأطفال)، وكان عليه أن يعتمد على الأقل التقنين التربوي الذي يشكل تصنيفا وتجنيسا لثقافة الطفل وفق مراحل تعليمه. وهذا المأخذ أعتبره ظاهرة في أدب الأطفال في الجزائر بشتى فنونه.

وأما الغلاف الخلفي للقصة فقد جعله المؤلف امتدادا للغلاف الأمامي في شكل صفحة صمّاء باللون الأصفر، وجعله متمّما للغلاف الأمامي من حيث المضمون ورمزية الحالة النفسية. ولم تظهر بعض البيانات التعريفية على الغلاف، وأجّل ظهورها إلى صفحة ما بعد الغلاف الأمامي و صفحة ما قبل الغلاف الخلفي، ففي الأولى أضاف في أسفلها بعد إعادة محتوى الغلاف الأمامي: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، وهذا يشي بأنّ القصة مطبوعة على نفقته الخاصة، وتحتها رقم الطبعة (الطبعة الأولى) وتحتهما تاريخ الإصدار (1413هـ - 1993م). وفي الثانية وفي أسفلها أورد اسم مؤسسة الطباعة (مؤسسة أشغال الطباعة لولاية المدية) بخط رقيق مرقون.

3.3 . الرسومات والألوان:

ظهرت قصة (**صديق الشدة**) في بداية التسعينيات من القرن الماضي، فكانت طباعتها راقية مقارنة بما هو متاح من وسائط الطباعة في تلك الفترة، وحمل مظهر القصة نماذج خاصة من الكتابة والرسم، تجسّدُ بعض جوانب التفكير التربوي السائد في التسعينيات، "وقد صاحبت القصة رسومات معبّرة بصورة جذابة تروق لذوق الطفل، وهذا مظهر من مظاهر التقنية في إعداد القصة إعدادا تربويا"[12] حيث جاءت الرسومات مسايرة للنص وحاملة لدلالات تصويرية معبّرة عن أهم أحداث القصة ومشاهدها، وتعكس تمفصلاتها الفكرية والحالات النفسية للشخصيات التي تحتويها القصة؛ فالرسومات والصور المصاحبة للنص هي في أساسها لغة الطفل الرابطة بين الدال والمدلول، "ولها دور في تحقيق المرح والسعادة والتخيّل والقدرة على النقد وتنبيه التفكير الخلاق، وتقريب مفهوم الكتاب للطفل"[13].

لقد أصرّ الكاتب أن تكون الرسومات بقلمه باستعمال قلم الرصاص فقط، أي بالأسود والأبيض في شكل تخطيط مادي للشخصيات التي هي في الأصل عبارة عن ألعاب سنأتي على ذكرها، وترك المساحات اللونية بيضاء؛ لغاية تربوية فنّية أملتها تجربته الطويلة في حقل التربية والتعليم، وكأنّ لسان حاله يقول: (اقرأوا ولونوا) ففضلا عن صورة الغلاف التي تجلت ملامحها بالألوان الزيتية أو المائية، ظهرت القصة في سبع رسومات أخرى داخل الكتاب في أسفل المشاهد الحوارية،

بمعدل رسمة واحدة لكل ثلاث صفحات، وتبدو وكأنها رسومات طفلية؛ لتحقيق مبدأ التفاعل بين الكاتب والأطفال بمشاركته بإعادة الرسم والتلوين والقدرة على التأمل وإعمال التفكير؛ للتوصل إلى الألوان الغائبة بتفريغ المشاعر والطاقة في الفن والإبداع والتنفيس انفعاليا، مما يتيح الفرصة للتعرف على الحالات النفسية للأطفال من خلال الألوان المستعملة.

وقد تجلى شكل القرد (**صَوْ صَوْ**) في أكثر الرسومات المشهدية باعتباره الشخصية المحورية النموذجية في القصة، في تعبير خفيف الظل لملامح الوجه التي تتماشى والمشاعر المختلفة لهذه الشخصية من بداية القصة وحتى نهايتها في الصفحات (1، 4، 12، 13، 18) بالإضافة إلى صفحة الغلاف الأمامي.

3.3 . الخط وعلامات الترقيم:

الخط العربي وحروفه فنّ عريق، ووجه مضيئ للغة العربية "منذ كانت في رحم النقوش الصخرية، مرورا بأطوارها التاريخية، فتية يدوّن بها القرآن الكريم، ثم ناضجة تزينها جهود اللغويين العرب الذين ما فتئوا يطورونها بأدوات لغوية وفنية أحكمت صنعها من داخل الكتابة نفسها، فنجحوا في التطوير والبناء، وكانت جهودهم منهجا لنا مازلنا نسير عليه وبعد أن اكتملت أدواتها الأدائية، نراها ترفل بعد ذلك في بذخ جمالي شامخ مع إبداعات الفنانين المسلمين من أرباب الخط العربي"[14]، لذلك وضع الكاتب أسرار الخط العربي وخفاياه أمام الأطفال في هذه القصة بخط يده وبلسان ريشته الحبرية، مبينا التموّج السحري لحروفه، وظرف أشكالها في خط النسخ بحجم متوسط بالحبر الصيني، ومضبوطة بالشكل التام، مما زادها ضرفا وكأنّ الحياة تدبّ فيها؛ لتسهيل قراءتها من قبل الأطفال، وتقمّص معاني اللغة فيها.

وقد أضفت علامات الترقيم جمالية أخرى على هذا النص القصصي حين رسمها المؤلف في مواضعها الدقيقة، وعددها ثلاثمائة علامة، وكان أعلاها استعمالا الفاصلة والنقطة، وليس ذلك بمنّة على أستاذ اللغة العربية، وإن كان قد أكثر من علامات الحذف(...) إذ كرّرها ما يقارب عشرين مرة على مدار واحد وعشرين صفحة، ويتراءى لنا أن بعضها ليست مرسومة في موضع الحذف؛ في مثل قوله في سطور منفردة:

- أيها الدبّ الحبيب... احك لنا قصة...[15]
- إنّ علاء صبي محظوظ حقا...[16]
- أما أنتم فلستم إلا أشياء...لا روح فيها[17]،

ولعل ذلك راجع إلى التوتّر الذي يدفع المتحدث للتوقف، أو أنّ الكاتب يريد أن يؤثر على نفس القارئ الصغير ليشاركه شعوره وعواطفه، أو أن ما تم ذكره كاف لإيصال المعنى دون وصف آخر، فقام بحذفه وتعويضه بالصورة البصرية هذه (...) والأمر كله راجع لذوقه الأدبي. فضلا عن جمعه بين علامتي التعجب والاستفهام أكثر من مرة، في مثل قوله الاستفهامي الواضح: "فلماذا تعاملونني جميعكم هذه المعاملة الفظة وغير اللّائقة!؟"[18]. كما أغرم الكاتب بكثرة استعمال علامة التعجب وأحيانا بتتابعها في موضع واحد، للتعبير عن حماسة الشخصيات ودهشتها وانفعالها وغضبها واشمئزازها.

4. البنية الفنية:

بعد القراءة والمعاينة يتراءى لنا أن تحليل القصة الموجهة للأطفال فنّيا يقف على تفحص النص من جهة المضمون الذي "يبرز من خلال تناول المواضيع والأفكار التي يحاول الكاتب إبرازها في قالب قصصي، والتحليل يكشف عن الهدف

الذي تقصده هذه الأفكار، ثم النظر إلى اتفاق المعاني التي يشتقها التحليل من النص مع ما يقصده الكاتب ومع ما يفهمه القارئ"[19] بمعنى فصل المضمون الكلي إلى أجزاء؛ للوصول إلى إدراك وفهم العلاقة بين أجزاء وعناصر القصة ومعلوماتها المحورية، بحس فنّي نقدي، "فالقصة تحتل المقام الأول لما تتضمنه من أفكار، وأخيلة، وحوادث ولغة سليمة، وأسلوب بسيط غير معقد، وسرد جميل يثير في نفوس الأطفال السعادة"[20].

1.4. الفكرة:

وهي أهم جزء في القصّة من البداية حتى النهاية "فأحداثها تمضي وتتفاعل، والشخصيات تتحرّك وتتكلّم وكأنهم يمارسون حياة حقيقية، لكنّ الحدث لا ينطلق عشوائيا، والشّخصيات لا تتصرّف ارتجالا أو اعتباطا، فوراء كل حركة وسكتة في القصّة هدفا أو تعبيرا عن معنى...عن فكرة، عن موضوع، والتّوازن الفني بين الشكل والموضوع دقيق الحساسية... فالفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفنّي للقصّة"[21].

وتدور فكرة قصة(**صديق الشدة**) حول طفل اسمه(**علاء**) يمتلك مجموعة من الألعاب القديمة التي يبدو أنه تخلى عنها (دب بني من القش، حصان خشبي نواس، دميتان، قطار، وخروف من القش) كانت داخل صندوق قديم، أنسنها الكاتب وملكها لغته لتخرج جميعها من سجنها وتتحلق حول كبيرها (الدبّ البني) ليحكي لها حكاية بطلب منها، وتتمحور حكاية الدب حول قصة عيد ميلاد (علاء) وألعابه الجديدة التي تلقاها كهدايا بمناسبة عيد ميلاده الجديد(قطار كهربائي، دب كبير من الفرو، دبابة كهربائية، وكلب حقيقي) والتي كانت مرتبة في حجرة واسعة وجميلة، فبعد نومها وراحتها راحت تتجاذب أطراف الحديث فيما بينها في حوار شائق وجذاب، وكل لعبة تتفاخر بصفاتها وجسمها وتبين الملامح التي من أجلها سيختارها (علاء) لتكون صديقته في حفل عيد الميلاد التي ستقام هذا المساء، لتتفاجأ بخروج القرد(**صو صو**) من خزانة قديمة، وهو لعبة قديمة بقي(**علاء**) يحتفظ بها دون بقية الألعاب القديمة، وبعد أن ألقى التحية راحت الألعاب الجديدة تقذفه وتقصفه بشتى النعوت البائسة، متحمسة في ابتكار عبارات جديدة للسخرية منه وإثارة الضحك عليه في جلبة حادة وضجيج كبير، في محاولة لطرده، غير أنّه استطاع بصبره وحنكته، وبأخلاقه وحسن حواره، أن ينتصر ، ويكون اللعبة المختارة لحضور عيد الميلاد، وقد برر (**علاء**) لألعابه في نهاية القصة سبب اختياره لقرده القديم دونهم. وهو الدرس المستقى من هذه القصة.

فهذه الأخيرة جمعت بين العجائبية والقيم والفضائل والأخلاق؛ لأنها تتمحور حول كائنات جامدة ناطقة في علاقة حميمية مع الإنسان والحيوان، فهي في مضمونها قصة تعليمية تربوية "تحث الطفل بطريق غير مباشر على المعاني الفاضلة، وتبين له أن الخير يجب أن ينتصر على الشر. وأنّ الحق سيعلو على الباطل"[22] .

ابتداء من المقدمة ونهاية بالحل برزت قيمة الفكرة، بسير حثيث لخط الأحداث، وقد أدت الصورة الرمزية قيمتها العميقة في الدلالة التأويلية الرمزية، وفي الدلالة الواقعية، فكل الألعاب تتكلم بما فيها الخروف، وتخاطب بعضها بعضا، وتستمع (لعلاء) وهو يحدّثها. فكل لعبة قد تنفتح على مستوى دلالي رحب، فالكاتب وفقا لذلك كوّن مادة فكرته من خلال تجربته الإبداعية والتربوية معا، من خلال الشخصيات القريبة من الأطفال، والمواقف الحياتية المعيشة، وهو ما يجعل فكرة القصة مثيرة لخيال الطفل الذي "يجد في الرمز الشفاف ملاذا يرتاح إلى ظلاله وأبعاده؛ لأن علاقته به تكون أقرب

إلى لهوه وتسلياته الطبيعية التي ترتبط بحياته الواقعية أولا، وبخيالاته وأحلامه المنطلقة إلى آفاق بعيدة لا تعرف حدودا ثانيا، ومن ثمّ لترضي نزعات داخلية في أعماقه"[23].

ويبدو أن الكاتب انطلق في التعبير والبوح عن فكرته من مضمون ديني اجتماعي تربوي تعليمي، انطلاقا من بعض القيم التي أوصى بها الدين الإسلامي، واحتضنها العرف الاجتماعي، وفي مقدمتها الصداقة المثالية القائمة على الحب والتّفاني والإخلاص، ولعلّني لا أجانب الحقيقة حين أقول: أن الطفولة هي المفتاح الأول في تهيئة المرء لأن يندمج اجتماعياً مع أفراد المجتمع في أي وسط كان، لاكتساب المهارات الشخصية، والقيم الأخلاقية، في الفرح والحزن، وفي الشدة والرخاء، وهو ما جسده الكاتب في هذه القصة في علاقة الطفل (**علاء**) بلعبته القرد(**صو صو**) الذي فضَّله على ألعابه الجديدة وقابل وفاءه أيام الشدة والحزن والفقر بوفائه له أيام الرخاء والسعادة والغنى؛ ليرسّخ فكرة الصداقة المثالية التي سيقدمها شرابا سائغا في شكل درس في الأخلاق للأطفال من خلال شخصيات الألعاب في خاتمة قصته بقوله: "...لكن قردي (**صو صو**) رافقني أيام فقري، وكان صديق شدتي ومحنتي. وأول لعبة أهدتني إياها أمي. لهذا فإنني أختاره أيام الرخاء على جميع لعبي الجديدة. شكرا له على أنه صاحبني أيام فقري"[24] . ففكرة القصة وموضوعها قيّما ومفيدا، قائما على "العدل والنزاهة والأخلاقيات السليمة، والمبادئ الأدبية والسلوكية التي ترسخ ثقة الأطفال في هذه القيم"[25] بتوجيه الطفل نحو الأعمال الخيرية والعواطف الصادقة، وتعليمه كيفية المشاركة في الأحاسيس، وتزويده بقيمة احترام الحياة الإنسانية، واحترام البيئة بجمادها وحيواناتها ونباتاتها.

إنّ قصة (**صديق الشدة**) تحمل في طيات فكرتها رسالة تربوية راقية، من كاتب فاضل خَبر حياة الأطفال واحتياجاتهم، فعمد فيها إلى تربية سلوكهم بزرع العلاقات الحميمية الإيجابية بين الأصدقاء، موضحا أن معيار التفاضل بينهم مبني على قيمة الوفاء، ومقابلة السيئ من الأقوال بالحسن من الأعمال، وأن المظاهر الخارجية لا تعكس بالضرورة حقيقة الإنسان وأخلاقه. فصوت عقله دائما أعلى من صوت غريزته.

2.4. الأحداث والحبكة:

تعدُّ الأحداث في القصة الموجهة للطفل بمثابة الخلفية التي تنبثق عنها الأفكار وتصور الشخصيات، والحدث الفنّي هو مجموع الوقائع المتسلسلة والمترابطة، التي تدور حول أفكار القصة في إطار فنيّ محكم "وتؤلِّف حوادث القصة جزءاً من النسيج البنائي لها، في شكل متسلسل ومتناسق ومنساب، ويترابط دون افتعال أو حشو لتتكامل معاً، وتأزّم مشكلة أو عقدة، يجد الأطفال أنفسهم إزاءها في شوقٍ للوقوف على الحل"[26] .

تتّسم أحداث قصة (**صديق الشدّة**) بالوضوح والحركة الحيَّة والتفاعل، في مكان مألوف للأطفال، وتبدأ الأحداث (بمقدّمة) بسيطة انطلق فيها الكاتب بعبارة: "في منتصف الليل..."[27] على غرار الحكاية الشعبية، تضمنت قليلا من التفصيلات، ووصف بعض الشخصيات الخارجية المسطحة أو الجاهزة التي لن تتغير بفعل الأحداث، وستبقى محافظة على سلوكها وفكرها الواحد حتى النهاية، فقط هي قامت بالتقديم لأحداث القصة، لشد اهتمام المستمع الصغير قبل أن يتحول إلى قارئ، وهذه طفرة في فن القص للأطفال، لم نعهدها في كثير من الأعمال القصصية الطفلية.

وتتطور الأحداث وتنمو بسرعة على لسان الدب البنّي الذي تلبّسه الكاتب حين انسحابه كسارد لأحداث القصة، بتمهيد جديد، لقصة جديدة، حدد فيها المناسبة، والشخصيات بأوصافها الدقيقة، والزمان والمكان، والحالة النفسية

للطفل (علاء) وهو يحتفل بعيد ميلاده، ثمّ يؤقّله قليلا على الرغم من نجوميته، فاسحا المجال لشخصيات أخرى متعددة المواقف الفكرية رغم بساطتها، وهذا ما يسمى بالفعل الافتتاحي التأسيسي أو التمهيد لأحوال الحدث القصصي وهو "الذي يدعم هرمية تراكم الأحداث التالية له، والمستمد حضورها من خيطية منطقية تصلها بالحدث الأول في النص"[28] ثم ينتقل إلى الحدث التأسيسي أو الحدث الأول بقوله: "وبمجرّد أن خرج علاء من حجرة الألعاب وأغلق بابها بإحكام. راحت الألعاب تتساءل في إلحاح عن نوع المنزل الذي انتقلت إليه. إنّ مظهره يدل على أن لا بأس به. فحجرة الألعاب واسعة ونظيفة... أخذت الألعاب بعد أن نفضت عنها سنات النوم تتبادل الأحاديث لإبعاد الملل والسأم عنها"[29] ثم تتشابك الأحداث في عملية البناء، وتتشابه في انتظامها عن طريق الحوار كتلك التي تقع في حياة الأطفال المعيشة، وتصل إلى ذروتها حين يفاجئ القرد(**صو صو**) الجميع بوجوده وهو يخرج من الخزانة؛ لأنّه أفسد عليهم حسب زعمهم حوارهم التفاخري، وهنا يظهر عامل التشويق والترقب لما يسمى بفكرة الحادثة المفاجئة في القصة الطفلية التي مثّلتها شخصية القرد، الذي لم يكن شيئا مذكورا في الفعل الافتتاحي، وبظهوره تحول إلى شخصية مركزية تربط العناصر المتفرقة، ومن ثم صار المحرك الرئيسي للأحداث.

عموما جاءت أحداث قصة (**صديق الشدة**) بسيطة وسهلة بالنسبة للفئة العمرية الموجهة لها، وحبكتها بناها كاتبها على تعدد الأفكار البسيطة، في حكاية واحدة، مرتّبة ترتيبا زمنيا يقبله عقل الطفل، ويجعله يدرك معنى الترابط الحدثي المنطقي بين الحركات العضوية التي تقع في سلوك الشخصيات، وبين "الحركة الذهنية التي تتمثل في تطور الفكرة نحو الهدف الذي تهدف إليه القصة"[30] باستعمال الطريقة المباشرة وطريقة السرد الذاتي؛ وذلك ما أوصى به منظرو أدب الأطفال بجعل القصة الطفلية وحدة متماسكة الأجزاء "تنمو فيها الفكرة والحوادث والوقائع الأخرى، وتتحرَّك الشخصيات، مؤلِّفة خيطاً غير منظور، يمسك بنسيج القصة وبنائها مما يدفع الطّفل إلى متابعة قراءتها، أو الاستماع إليها؛ لأن ذلك الخيط يستلزم تفكيراً أو تخيّلاً أو تذكُّراً، أو يستلزم هذه كلها"[31] وهذا ما ذهب إليه المؤلف بإحكام حبكة القصة، وقيامها على حوادث مترابطة، وشخصيات من واقع الطفل.

3.4. الصراع:

الصراع في قصة (**صديق الشّدة**) عبارة عن معارضة داخلية بين شخصيات متعددة؛ للوصول إلى هدف معين، بالاعتماد على التّوصيف للذّات، والانتصار لـ (الأنا) وفق الوضع القائم، فكل شخصية ترى أنها الأفضل والأكمل والأصوب، و(الآخر) هو الأسوأ والناقص والخاطئ، وهي ما يطلق عليه بالمعارضة أو التضاد، ويتجلى ذلك في الآتي:

– الدب الضخم مزمجرا: "–**إنني** بدون شك– أضخم لعبة في مجموعة الألعاب كلها، و**أنتم** لم تروا في حياتكم دبا من الفرو أكثر جمالا وأناقة **مني**...**وأنا** متأكد أنه سيختارني من بينكم جميعا..."[32].

– الدبابة الكهربائية مقاطعة: هل تراك أبصرتني حين أنفث شررا من ماسورتي، و**إنني** لقادرة على القدوم والإدبار معا...لو اختير لما اختار لعبة أشد تسلية له **مني**"[33].

– القطار الكهربائي معتدا واثقا: "لا، سوف يقع اختياره عليّ **أنا**. كل الأطفال يتعلقون بشدة بالقُطر وبالسكك الحديدية"[34].

– الكلب الوديع: انتظري أيتها الألعاب...سوف أكون رفيقه الوحيد في تجواله...**إنني** لعبة حقيقية، لعبة حية من لحم ودم، أما **أنتم** فلستم سوى أشياء... لا روح فيها"[35].

وهذا شكل نضالي يقع كثيرا بين الأطفال في تجاذباتهم اليومية وفي أحاديثهم المدرسية، وهذا الخطاب رغم اختلاف الرؤى يؤسّس لما يسمى بعملية (المفاعلة) في أدب الطفل، حيث تتوجه كل شخصية بآليات إقناعية خاصة بها تجاه الشخصيات الأخرى لكن في غياب الشخصية المقررة والمعنية بالاختيار.

ويتأزم الصراع في قصة (**صديق الشدة**) عندما تتحد الشخصيات السابقة وتتحول من قوى متضاربة إلى قوة واحدة شريرة، ضد الشخصية الخيّرة التي ظهرت مشحونة بالمفاجآت، والقيم الأخلاقية، ونتيجة لذلك كان لها الانتصار في الأخير. في قول الكاتب: "أين أنت يا قردي الصغير العزيز؟ تعال إليّ بسرعة. أنت الذي سآخذه للاحتفال معي بعيد ميلادي! فقد حضرت معي كل أعياد ميلادي السابقة. فلن أسمح لك بالتغيب عن عيدي هذا..."[36]. نلاحظ أن الكاتب مصر على انتصار الخير على الشر في صراعه مع القوى المتحدة، وذلك ما يجب زرعه كقيمة لها تأثيراتها على حياة الطفل.

4.4. الشخصيات:

عنصر أساس في بناء القصّة الطفلية، وشرطٌ رئيس من شروط نجاحها، إذ تقوم بالأحداث في القصة، ومن مزاياها جذب الطّفل، بحكم طبيعته المولعة باستكشاف الشخصيات وتقليدها، ولما تتيحه من إرضاء لنوازعه "والطّفل بحاجة إلى أن يرى الشّخصية أمامه حيّة مجسّمة، وأن يسمعها تتكلّم بصدق وحرارة وإخلاص، فيرى فيها صدق الحقيقة وحرارة الحياة، وإذا تمّ له التّعرّف عليها، وفهمها، والاقتناع بها، كان هذا هو المدخل الأول نحو تحقيق نوع من التّعاطف بينه وبينها، مما يخلق جواً انفعاليا مساعدا يخطو بالقصّة خطوات واعدة نحو النّجاح"[37] حين يتفاعل معها ويتأثر بأفعالها من خلال الحوادث ويعمل على تقليدها حركة وقولا.

لقد اجتهد جمال الطاهري في قصته (**صديق الشدة**) في رسم الشخصيات؛ وجعلها غير باهتة وغير متناقضة في أقوالها وأفعالها، ورغم جمودها باعتبارها مجرد ألعاب، فقد بثّ فيها الحياة وخلّدها على صفحات قصته حين أنسنها ومنحها القدرة على التفكير، تتحدّث، تتألم، تفرح، تأكل، تشرب، تنام، تستيقظ، وتقيم مع بعضها علاقة الإنسان بالإنسان، وراعى فيها –باعتبارها موجهة للأطفال–"أن تتصرف كما تتصرف شبيهاتها في الحياة إذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها وأن تتصرف تصرفا لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات بحيث تظهر الأحداث العضوية المفاجئة التي تعترض سبيل الحياة في القصة وكأنها حلقات غريبة وتنأى بها عن طبيعة الحياة العادية"[38].

تعدّدت الشخصيات في القصة بين الإنسان والجماد والحيوان، وتنوعت بين الشخصيات المسطحة والشخصيات النامية وفق الآتي:

– الشخصيات المسطحة(الثابتة): وهي "تلك التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة"[39] وهي مجموعة الألعاب القديمة (الحصان الخشبي النواس، الدميتان الشقراوان، القطار القديم، وخروف القش الأبيض) حيث اكتفت جميعها بمضمون مقولة واحدة في بداية الحدث التأسيسي (المقدمة): "أيها الدّب الحبيب ...احك لنا قصة..."[40] وكأنها ولدت مكتملة، منذ بداية القصة وحتى نهايتها.

– الشخصيات المدورة (النامية): وهي شخصيات معقدة لا يستقر لها حال، ولها دور رئيس في إثراء النص إثراء كاملا.
وقد عمد جمال الطاهري في قصته إلى تصوير عدة شخصيات نامية متعدّدة المواقف، ولم يخص واحدة منها بصفة البطولة المطلقة، وإن مال في تصويره إلى شخصية القرد (**صو صو**) بجعلها شخصية رئيسية، فقد قارب بقية الشخصيات بها بالكشف عن وعيها كلها، إسقاطا على موقف القصة العام؛ وهو توجه حديث – رغم قدم القصة– في القصة الموجهة للأطفال، فهذه القصة ضربا من القصص الذي "يتجاوز فكرة البطل أو الشخصية الرئيسية، ويهتم بتصوير الوعي الاجتماعي لمجموعة من الأفراد، ممثلة لاتجاه خاص في المجتمع؛ للكشف عن وعيها الاجتماعي، وكفاحها المشترك، في مواقف إنسانية، تجلي مأساة الإنسان، وصراع المجموع ضد ما يعوق تقدّمه"[41].

تدور أحداث قصة(**صديق الشدة**) حول الشخصية (النموذجية) القرد (**صو صو**) بظهورها أكثر من الشخصيات الأخرى، التي كانت معظم مقولاتها حولها. وبذلك تحولت إلى شخصيات ثانوية أو مساعدة للشخصية النموذجية على الرغم من اشتراكها معها في كل أحداث القصة، بله والاحتكاك معها وهي: (علاء) الإنسان الحقيقي رمز الوفاء، الدّب البني الضخم رمز الكِبر والعجرفة، الدبابة الكهربائية المسيرة عن بعد رمز العولمة، القطار الحديدي الكهربائي رمز القوة، والكلب الصغير الشخصية الحيوانية رمز المرح.

وهي شخصيات نابعة من أحداث القصة. فضلا عن شخصية الراوي الإنسان، وهو الكاتب الذي تولى سرد المقدمة كلها بنفسه، ثم انسحب وتلبس شخصية راو جديد وهو دبّ القش البني، وجعله نائبا عنه بقوله:"...ثمّ التفت كل اللعب حول الدّب، وكلها آذان صاغية...وهنا ابتدأ الدب سرد الحكاية"[42] وبدأ الدب بسرد الأحداث من خلال نفسية الكاتب التي ملكها إياه، حيث بدا عارفا بمستقبل الشخصيات وماضيها، وبسلوكها وأفكارها، بالإضافة إلى تعليقاته وشروحاته كما في قوله: "آه لو كان الأطفال الطيبون مستيقظين لرأوا وسمعوا شيئا طريفا عجيبا"[43] وفي قوله: "دخل علاء مسرعا إلى حجرة الألعاب ليختار من بينها لعبته المقربة إلى قلبه، أي أحب لعبة إليه."[44] وهذا ما يجعل شخصية الراوي شخصية مصاحبة، وهنا يمكننا القول أنه تضافرت رؤيتان للراوي، الأولى خارجية وتسمى في منطق النقد(السرد الموضوعي) والثانية داخلية وتسمى (السرد الذاتي).

5.4. بيئتا الزمان والمكان:

البيئة هي الوسط الطّبيعي التي تجري في إطاره أحداث القصة، وتتحرك فيه شخصياتها، وبيئتا الزمان والمكان نقصد بهما الإجابة عن السّؤال: متى وأين حدثت وقائع القصة؟ فالمكان شيء أساسي ومحوري في قصّة الطّفل، ولابدّ من تحديد أبعاده في بداية القصّة؛ حتى لا تنعدم القصّة أصلا، أمّا الزمان فهو فترة معيّنة تتراوح بين الطّول والقصر حسب طبيعة الأحداث. "والباحث عن أجزاء الزمن يلتقي بآراء عديدة في تقسيم الزمن، ولكن هذه الآراء لا تخرج عن كون الزمن يتألف من ضربين: الأول: يتألف الزمن من ماض وحاضر ومستقبل. الثاني: يتألف الزمن من ساعات وأيام وأسابيع وشهور وفصول وسنين"[45] وقد تمتدّ لقرون، وقد تقصر دون ذلك؛ وهنا وجب التّدرج في تقديم الزمن للطفل حسب مراحل تطوره الإدراكي لأنه قد يفرّق بين الليل والنّهار، ويسمّي أيام الأسبوع في مرحلة معيّنة وفيها يجهل الامتداد السحيق للعصور لاختلاف البيئة ومكوّناتها.

في قصة (**صديق الشدة**) حدد الكاتب زمنها منذ البداية في قوله على لسان الراوي: "في منتصف الليل حينما كان الأطفال اللطفاء الطيبون مستسلمين في أسرتهم إلى نوم هادئ)[46] وعبارة(منتصف الليل) دليل على أن الزمن كان ليلا في بداية القصة، ثم يؤكد على ذلك في قوله: "آه لو كان الأطفال الطيبون مستيقظون وقتها..."[47] ثم تدرج في توضيح الزمن وامتداده إلى منتصف النهار في مثل قوله: "وراحت الألعاب جميعها إثر مقالة الدبّ في سبات عميق إلى أن حان ميقات وجبة الغداء"[48] ووقت وجبة الغداء عادة هو منتصف النهار. والكاتب يعرف جيدا أنه يكتب للأطفال الذين لا يدركون الأحداث في الزمن المطلق، وذلك من ميزات النضج الكامل الذي لم يصله الطفل بعد، فأشار إلى وقت وقوع حفل عيد الميلاد بالساعة وأكد على ضبطها لترسيخ قيمة دينية تربوية راقية وهي الحفاظ على المواعيد في وقتها في قوله: "وعلى الساعة الرابعة مساء بالضبط. بدأ أصدقاؤه يفدون على حجرة الاستقبال"[49] فالمساء هو زمن حدوث حفلة عيد الميلاد وما تبعها من أحداث حتى نهاية القصة.

كما استعمل الكاتب إشارات أخرى متنوعة دالة على الزمن مثل (يوم مضى، أقضي وقتا ممتعا، الساعات الطويلة، أيام فقري...) كما وظف الكاتب مجموعة من الأفعال الدالة على الزمن القصصي، حيث اعتمد أكثر على الفعل الماضي الذي تكرر في المتن اثنين وثمانين مرة لمتطلبات سردية، لأنّ هذه القصة تشبه الحكاية الشعبية في زمنها السردي، وكأن الراوي "يحكي ما وقع للشخصيات في الزمن الماضي أساسا، وبعضها الآخر ربما يقع في المستقبل، ولكن طبيعة السرد لا تتعلق إلا بما كان، لا بما هو كائن، ولا بما سيكون"[50] فانفتح مشهدها على تقنية الاسترجاع باستعمال الفعل (كان) التي استهل بها الكاتب قصته فيقول: "حينما كان الأطفال اللطفاء الطيبون مستسلمين في أسرتهم إلى نوم هادئ عميق، وإلى أحلام وردية بديعة" كما انفتح المشهد القصصي على تقنية الاستباق بتوظيف الفعل المضارع في استنباطاته الاستشرافية في الحوار الذي دار بين الألعاب وهي تتفاضل بينها أَجْلَ اختيارها من قبل الطفل (علاء) باستعمال حروف الاستقبال في المقولات الأتية: (سيختارني من بينكم جميعا، سوف يقع اختياره عليَّ أنا، سوف ترون جميعا أنه سيختارني أنا دونكم، سوف أصاحبه في غدوه وآصاله...).

لم يحدد الكاتب في قصة (**صديق الشدة**) الفضاء المفتوح الذي قدِم منه أصدقاء الطفل (علاء) لحضور حفلة عيد ميلاد، ولم يشر إلى بعدهم أو قربهم منه، واكتفى بصريح الدعوة "كان علاء قد دعا الأصدقاء للاحتفال معه بعيد ميلاده"[51] وهي دعوة ضمنية للأطفال لاستنتاج تصور المكان العام، وفي مقابل ذلك فقد أحكم الكاتب بدقة الإطار القصصي المغلق الذي تتحرك فيه الشخصيات السابقة، وذكره صراحة بتفاصيله وذِكر أبعاده: "فحجرة الألعاب واسعة ونظيفة، كما أنها معرضة للشمس وللنور بصورة جيدة"[52]، كما حدد فضاء مغلقا آخر وهو (قاعة الاستقبال) التي جرت فيها أحداث عيد الميلاد. كما عمد الكاتب إلى استعمال وسائل أخرى تعبيرية دالة على المكان تنوعت بين الظروف المكانية، وأسماء المكان، والكلمات والجمل نذكر منها:(الأرض، بين، سقف، غطاء صندوق، أرجاء الحجرة، المكان، زاوية، دكان بيع الألعاب، خزانة الألعاب، رفوف...) فضلا عن صورة الغلاف التي تجلّى فيها المكان الذي تدور فيه أحداث القصة.

6.4. الحوار واللغة:

الحوار هو أداة رئيسة للتّعبير في كثير من القصص الطفلية، ومكوّن رئيس لنسيج أحداثها إلى جانب السرد والوصف، وهو تبادل الأحاديث بين طرفين أو أكثر في متن القصة، للكشف عن البعد الفكري والمستوى اللّغوي للشخصيات، بعرض آرائها ووظائفها في القضية التي تعالجها فكرة القصة؛ وشرطه "أن يتفق وصفات الشخصية التي تنطق به، ويعبّر عن مستوى إدراكها، وأن يختلف عما تقوله الشخصية الأخرى المشاركة في الحوار حتى لا يقع اضطراب أو خلط بين المتكلمين"[53].

لقد أدى تعدد الشخصيات في قصة (**صديق الشدة**) وللتعايش مع القيم التربوية الأخلاقية المراد تبليغها إلى الأطفال، أن يتكئ كاتبها على الحوار أكثر من السرد والوصف، حتى بدت وكأنها مسرحية طفلية، في أربعة محاور مشهدية: فالمحور الأول بين الألعاب القديمة وكبيرها دب القش البني، ولسان حالها جميعا يقول: "أيها الدب الحبيب...احك لنا حكاية". والمحور الثاني بين الألعاب الجديدة في تفاخرها وتفاضلها بين بعضها وقد طغى على حوارها ضمير المتكلم. والمحور الثالث بين الألعاب الجديدة وشخصية القرد (**صو صو**) حين رفضت هذه الشخصيات وجوده بإعلانها عن فكرها الرافض للتعايش مع الآخر، والرد عليها من قبل القرد بكل عفوية بالإجابة على أسئلتها بعد حضوره حفلة الميلاد (الصراع بين (الأنا) و(الآخر). والمحور الرابع الحوار الذي دار بين الطفل (علاء) وألعابه الجديدة من بداية الاختيار وحتى تبيان أسبابه (التبريرات والحل). وكل ذلك جاء في مواقف مشهدية قريبة من الواقع وممكنة الحدوث بالاعتماد على توازن طرق تقديم القصة، حيث مزج بين طريقة الرواية، وطريقة ضمير المتكلم، وطريقة ضمير الغائب، وأضاف طريقة ضمير المخاطب باستعمال عبارات دالة على ذلك (من أنت؟ لم يبق سواك، أفّ منك، لا تقترب مني، أيها الجلف...) مما أدى إلى تلاحم بنية القصة، وأجلى أهدافها الجمالية والأخلاقية.

واللغة في قصة الطفل تعتبر "من القضايا التي شغلت أذهان النقاد والأدباء، واحتلت كثيرا من الجدل والمناقشة"[54] فمنهم من نحا نحو التبسيط والتسهيل والوضوح وفق وضعية الطفل ومرحلة نموه اللغوي، ومنهم من اتجه إلى القول باللغة الراقية وهم المتحولون من الكتابة للكبار إلى الكتابة للصغار، وهي جدلية لا تهمنا، بقدر اهتمامنا باستخدام الأسلوب الذي يوائم مرحلة الطفولة الموجه لها النص القصصي، ويتلاءم مع قدراتها المعرفية وقاموسها اللغوي.

جمال الطاهري قاص قادر على مسك اللغة من معجمه العام، وتفعيلها للأطفال وفق معجمهم الخاص، وكأني بالرجل ينحت ويصنع، ويخترع، من أجل الدلالة الواعية في مطابقة للواقع الطفلي؛ لذلك جاءت اللغة في قصة (**صديق الشدة**) مناسبة للفئة العمرية التي لم يحدّدها، ولكنها تجلت من خلال اللغة وهي المرحلة المتوسطة باستخدامه الألفاظ المألوفة في جمل قصيرة، يمكن للطفل الإحاطة بمعانيها دون الرجوع إلى المعاجم على غرار قوله: "دخل علاء إلى حجرة الألعاب بمنامته. فنظر إلى ألعابه جميعها بحنان، وربَّتَ على ظهر كلبه بضربات خفيفة لطيفة. ثم قال لها بصوت كله رقة ولطف: يا أحبائي...كل لعبة منكم حبيبة إلى قلبي، وأشعر بلذّة وقت ألعب بكم جميعا..."[55] فكل الكلمات مألوفة، صيغت في جمل قصيرة سهلة القراءة نطقا وفهما، إلا كلمة(ربَّتَ) التي يفسر معناها ما بعدها، كما برزت ظاهرة التكرار في هذه القصة على مستوى الحروف والألفاظ والعبارات لتحقيق الوظيفة التعليمية التربوية التي نبّه إليها أدباء الطفولة، على اعتبار أنه طريقة من طرق التلقين في المناشط المدرسية، وكأنّه "لابد أن يتوفر فيه ذهنيا مسافة في الدلالة تسمح

للّفظة التالية أن تستقر بعدها محققة نوعا من اكتمال المعنى أو بيانه أو تحقيقه"[56]، وحجتنا في ذلك على سبيل التمثيل، تكرار لفظ الأطفال وما يجري في معناها، في عبارات تؤكّد أن الخطاب كله موجه للأطفال، ويجري بينهم:(كان الأطفال اللطفاء...،أحبابه الصغار، كان الأطفال الطيبون، لكن الأطفال...، يا أطفالنا الصغار، إن علاء صبي محظوظ، طفل محظوظ، أسعدت الأطفال بنباحي...).

وقد استخدم الكاتب اللغة الفصيحة معتمدا على ثقافته العربية الأصيلة، وموهبته الأدبية، وتجربته التربوية، فأنتج نصا قصصيا تميزت لغته بالسهولة والبساطة في الألفاظ والتراكيب، وجاءت الجمل في أكثرها فعلية تقريرية وقصيرة في شبه محاكاة للغة الواقع الطفلي المعيش؛ التي من السهل أن يفهمها الطفل، أما الألفاظ الصعبة فهي نادرة، وإن وجدت فهي من قبيل الجديد الذي يثري قاموس الطفل اللغوي، ويرفع من مستواه التّواصلي الذي أتعبته اللهجات العامية، وبعض الاستعمالات الأجنبية التي فرضت نفسها في البيئة اللغوية الجزائرية، وهو أمر جعله يستورد من لغة التراث العربي بعض العبارات وطوعها لتكون قريبة من متناول الأطفال بصياغة أسلوبية تتميز بالاقتصاد اللغوي، وما يقع في مستوى معجم الطفل في إطار مداركه وبيئته وخبرته، في مثل قوله: "**أيها الجلف**، كيف لا نكون قاسين في معاملتك، وأنت تقف أمامنا في مثل وقاحتك هذه..."[57] وفي مثل قوله: " **اغرب عن وجهي**...وإلا نزلت عليك بأنيابي عضا وتقطيعا"[58]. ولم يكثر من استعمال الأساليب البلاغية إلا بما استدعته الحاجة كالتشبيه البسيط الذي استعمل فيه الأداة الاسمية(مثل، مثلي، مثلك...) فقط، وركز على عنصر اللون والصوت والحركة باستعمال كثير من الصور البصرية والسمعية والحركية.

ونشير في هذ المقام إلى خلو النص من الأخطاء اللغوية بكل أنواعها، إلا في موضع واحد حين وظف صوت الأسد (زأر) في غير موضعه ونسبه إلى الدب الذي هو صوته(قهقع) في قوله: "زأر الدبّ الأبيض كبير الحجم"[59] ويبدو أن المردّ في هذا الاستعمال هو تنافر حروف (قهقع) الذي يوجب ثقلها على ألسنة الأطفال. وفي غير هذا، كان الأسلوب واضحا، وبسيطا في النسيج اللفظي، شفافا خاليا من التنميقات في غير سذاجة، تنوعت فيه الجمل بين الاسمية والفعلية وأشباه الجمل، وقل فيه التقديم والتأخير، بتقريب ركني الجملة، والمزج بين الأسلوب الخبري والإنشائي، والتقليل من الجمل الاعتراضية، وهو ما يدل على أن **جمال الطاهري** يمتلك طاقة عميقة وجياشة سلط شعاعها على الكلمة فجعلها تهوم في نصه القصصي حاملة شحناته النفسية التي تجمع الماضي بالحاضر بالاستشراف وآمال المستقبل. بما يستطيع القارئ الصغير استيعابها في تركيبات سحرية غير مفتعلة، استطاع من خلالها أن يشدّ إليه انتباه الأطفال ويقظتهم ودهشتهم.

5. الخاتمة والاقتراحات:

وبعد هذه الرحلة البحثية الموجزة حول البنية الفنية في القصة الموجهة للطفل في الجزائر وعتباتها من خلال قصة (**صديق الشدة**) **لجمال الطاهري** كأنموذج، تسوقنا الحتمية لاستخلاص بعض النتائج العامة، والإفادة ببعض الاقتراحات وفق الآتي:

– تراءى لنا من خلال قصة (صديق الشدة) أن كُتّاب القصة الطفلية في الجزائر، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى حقل التربية والتعليم، يمتلكون موهبة الرسم، ومن ثمّ تنفيذ رسومات قصصهم بأنفسهم، وهي ظاهرة تستحق التشجيع، فالجمع بين الكتابة والرسم يغني عن الخلافات القائمة بين المؤلف والمصمم (الرسام) وحتى الناشر(دار النشر) فكاتب القصة أعلم بمضمون قصته وما تحتاجه من تفاصيل في رسومها وصورها، وخاصة صورة الغلاف البوابة الرئيسية للقصة.

– القصة الموجهة للطفل في الجزائر، صارت فنّا أدبيا قائما بذاته، ضمن رقعة أدب الطفل، لها الطليعة في بروزها وتناولها، ولها فنياتها الموصى بها عالميا وعربيا، وأساليبها المتجددة، ومتطلباتها التي عايش فيها كتابها معظم النواحي الضرورية لحياة الطفل، وكل ذلك من خلال الأنموذج المقدم.

– من السلبيات المستنتجة إهمال التقنين على غلاف القصة، وفق مراحل الطفولة، وهو ما يحيل الدارس على دراسة مراحل الطفولة لمعرفة ما يلائمها من صنوف الأدب، حتى يصل إلى الدراسة الموضوعية والنقد البناء، والإحالة نفسها بالنسبة للطفل والقائم عليه حين اقتناء هذه القصة وغيرها من القصص في الجزائر.

– لغة قصة (صديق الشدة) الموجهة للأطفال في الجزائر، راعى فيها كاتبها التطور اللغوي للطفل، حيث تميزت المفردات والعبارات بالسهولة والقصر مع مناسبتها للموضوع، وخلوها من الفج والغريب، إلا فيما قلّ فهو يحفظ دون القياس عليه. وعموما فقد حقق فيها مؤلفها كثيرا من شروطها وفنيات كتابتها للأطفال.

وبناء على ما سبق نقترح الآتي:

– إنشاء دار نشر وطنية، أو دور جهوية؛ لطباعة أدب الأطفال في الجزائر، تحت إشراف وزارة مخولة، وإنشاء لجان قراءة مختصة لغربلة ما يكتب للأطفال، واختيار المشاهد والرسومات المناسبة لكل عمل وبخاصة القصة، وطبع الإنتاج الذي لايزال بكرا حبيس الأرفف وزوايا المكتبات المنزلية، وتخفيف نفقات الطبع الخاص، التي أثقلت كاهل الكثير من الكتاب، وتيسير رحلة البحث عن دار نشر مناسبة. وإسقاط عبارة(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف).

– العمل على إنشاء مكتبات مدرسية داخل كل مؤسسة تعليمية، والتشجيع على تزويدها بنسبة معينة من كل مطبوع جديد موجه للأطفال من قبل الكُتّاب، لبعث روح المطالعة وغرس حب القراءة في نفوس الأطفال. فضلا على إنشاء منصات ومواقع تعليمية باستعمال التقنيات الحديثة عبر الشبكة العنكبوتية تختص في تقديم أدب الأطفال تفاعليا، ورقمنة الإنتاج الموجه للأطفال.

– التخطيط الواعي لجعل مضامين أدب الطفل في الجزائر ضمن المناهج المدرسية الجزائرية، وتخطي عتبة الاستيراد الأدبي، الذي أفّل نجوما أدبية جزائرية كان ينبغي أن تظهر بأشعارها وقصصها على صفحات الكتب المدرسية.

وأخيرا نعلق كل الآمال على الباحثين من أجل تنشيط المتابعة النقدية لكُتاب الطفولة في الجزائر؛ لأن مستقبل الإبداع في ذلك يبقى رهين الحركة النقدية الواعية والأصيلة وبخاصة في فن القصة.

6. الهوامش:

[1] – محمد حسن عبدالله: قصص الأطفال ومسرحهم، (د، ط)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001 ، ص:20

[2] – جمال الطّاهري: الزهور، ج2، دار الحضارة، المدية، 1991، ص: الغلاف الأخير.

[3] – جمال الطّاهري: نفح الياسمين، مؤسسة أشغال الطّباعة، المدية، 1997، ص: الغلاف الأخير.

[4] – كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ج2 (د، ت) دار الكتاب العلمية، بيروت،ص: 59.

[5] – جمال الطاهري: نفح الياسمين، ص: الغلاف الأخير.

[6] – المصدر نفسه، ص:ن.

[7] – جميل حمداوي: مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، ط1، نادي القصيم الأدبي، السعودية، 2009، ص: 43.

[8] – المرجع نفسه، ص: 104.

[9] – مسعودة لعريط: قصص الأطفال في الجزائر دراسة موضوعاتية (د، ط) الصندوق الوطني لترقية الفنون وتطويرها، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر،2003، ص: 17.

[10] – سورة البقرة: الآية: 187.

[11] – سورة البقرة: الآية: 69.

[12] – عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2015، ص:146.

[13] – حسن شحاتة: أدب الطفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1994، ص: 15.

[14] – صالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط (د، ط) دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003، ص: 10.

[15] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ط1، مؤسسة أشغال الطباعة ، المدية، 1993، ص: 02.

[16] – المصدر نفسه، ص: 05.

[17] – نفسه، ص: 09.

[18] – نفسه، ص: 14.

[19] – عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ص:118.

[20] – عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط2، دار الشروق، الأردن، 1988، ص: 104.

[21] – محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للطفل، (د، ط) مؤسسة حورس الدّولية، مصر، 2000، ص:38.

[22] – عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ص: 75.

[23] – أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال فن المستقبل، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010، ص:540.

[24] – جمال الطاهري: صديق الشدة، 1993، ص:21.

[25] – عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ص: 40.

[26] – هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، 1988، ص:173.

[27] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 01.

[28] – عميش عبد القادر: قصة الطفل في الجزائر–دراسة في الخصائص والمضامين–ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012، ص: 165.

[29] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 06-07.

[30] – عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه – دراسة ونقد– ط9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013، ص: 104.

[31] – هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص:173.

[32]– جمال الطاهري: صديق الشدة ، ص: 07.

[33]– المصدر نفسه، ص: 08.

[34]– نفسه، ص: 09.

[35]– نفسه، ص: ن.

[36] – نفسه، ص: 17.

[37] – أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، (د، ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص. ص:80.

[38] – محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للطفل، ص: 43-44.

[39] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد (د، ط) عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص: 89.

[40] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 02.

[41] – سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال- أهدافه ومصادره وسماته- ط1، دار البشير، الأردن، 1993، ص: 130-131.

[42] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 03.

[43] – المصدر نفسه، ص: ن.

[44] – نفسه، ص: 16.

[45] – عبد الإله الصائغ: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ط3، عصمى للنشر، القاهرة، 1972، ص: 79.

[46] – جمال الطاهري: صديق الشدة ، ص: 01.

[47] – المصدر نفسه، ص: 03.

[48] – نفسه، ص: 04.

[49] – نفسه، ص: 15.

[50] – عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص: 151.

[51] – جمال الطاهري: صديق الشدة ، ص:15.

[52] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 07.

[53] – محمد حسن عبد الله: قصص الأطفال ومسرحهم، ص: 92.

[54] – العيد جلولي: قصص الأطفال بالجزائر (د، ط) دار الإرشاد، وازرة الثقافة ، الجزائر، 2013، ص: 255.

[55] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص: 21.

[56] – محمد عبد اللطيف: بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص: 113.

[57] – جمال الطاهري: صديق الشدة، ص:14.

[58] – المصدر نفسه، ص:13.

[59] – نفسه: ص: 06.

7. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1.7. قائمة المصادر:

1- جمال الطاهري: صديق الشدة، ط1، مؤسسة أشغال الطباعة ، المدية، 1993.

2- جمال الطّاهري: ديوان الزهور، ج2، دار الحضارة، المدية، 1991.

3- جمال الطّاهري: ديوان نفح الياسمين، مؤسسة أشغال الطّباعة، المدية، 1997

2.7. قائمة المراجع:

4- أحمد نجيب: أدب الأطفال علم وفن، (د، ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.
5- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال فن المستقبل، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010.
6- جميل حمداوي: مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر، ط1، نادي القصيم الأدبي، السعودية، 2009.
7- حسن شحاتة: أدب الطفل العربي دراسات وبحوث، ط2، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1994.
8- سعد أبو الرضا: النص الأدبي للأطفال- أهدافه ومصادره وسماته- ط1، دار البشير، الأردن، 1993.
9- صالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط (د، ط) دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2003.
10- عبد الإله الصائغ: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ط3، عصمى للنشر، القاهرة، 1972.
11- عبد الحميد محمد عامر: قصة الطفل في ليبيا، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2015.
12- عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط2، دار الشروق، الأردن، 1988.
13- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد (د، ط) عالم المعرفة، الكويت، 1998.
14- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه – دراسة ونقد- ط9، دار الفكر العربي، القاهرة، 2013
15- عميش عبد القادر: قصة الطفل في الجزائر-دراسة في الخصائص والمضامين- ط2، دار الأمل، تيزي وزو، 2012.
16- العيد جلولي: قصص الأطفال بالجزائر (د، ط) دار الإرشاد، وازرة الثقافة، الجزائر، 2013.
17- كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ج2، دار الكتاب العلمية، بيروت، (د، ت).
18- محمد السيد حلاوة: الأدب القصصي للطفل (د، ط) مؤسسة حورس الدولية، مصر، 2000.
19- محمد حسن عبد الله: قصص الأطفال ومسرحهم (د، ط) دار أنباء، القاهرة، 2001.
20- محمد عبد اللطيف: بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995.
21- مسعودة لعريط: قصص الأطفال في الجزائر دراسة موضوعاتية (د، ط) الصندوق الوطني لترقية الفنون وتطويرها، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر،2003.
22- هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، 1988.